Journal of Language Studies Vol.8, No.5, 2024, Pages (42-57)
DOI: https://doi.org/10.25130/Lang.8.5.3

ISSN: 2663-9033 (Online) | ISSN: 2616-6224 (Print)
Journal of Language Studies
Contents available at: https://jls.tu.edu.iq/index.php/JLS

Reading and receiving in Al-Mutanabbi's meme (An applied analytical study)

Assistant Professor Doctor Khawla Hassan Younis*
College of Arts/Al-Mustansiriya University
dr.hassany@uomustansiriyah.edu.iq

Received: 16/ 4/ 2024, **Accepted:** 23/ 5 /2024, **Online Published: 31/ 5 / 2024**

Abstract

What draws attention is the multiplicity of critical readings of Al-Mutanabbi's poem (And the Warmest of His Two Hearts), which touches the hearts of hearts across different literary eras. Therefore, I wanted to focus on applying the theory of reading and interpretation to this poem, starting from the three axes of the theory, which are in order:

The first reading of the text is the reading of the admiring reader. Then, the important stage is the stage of the critical reader of the text, which is called the moment of interpretation, which determines the areas of beauty and creativity in the text, moving to the last moment in which the basic meaning that the poet sought becomes clear, through the historical introspection of the text, which is called Modern critics consider the stage of understanding, which is closely linked to the second stage in our mathematical and psychological analysis of the text, starting from the text itself through two prominent phenomena in it: double opposition and parallelism, passing through the critics who tried to internalize this text secondly, especially the study of Dr. Abdul Salam Al-Masdi (Readings with... Al-Shabi, Al-Mutanabbi, Al-Jahiz, and Ibn Khaldun), and the study of Dr. Abdul Hadi Khudair Nishan (theoretical readings in Al-Mutanabbi's poetry), and from God, success.

Keywords: double opposition, parallelism, reading and interpretation

* **Corresponding Author**: Doctor Khawla Hassan**, Email:** dr.hassany@uomustansiriyah.edu.iq
Affiliation: Al-Mustansiriya University - Iraq

© This is an open access article under the CC by licenses http://creativecommons.org/licenses/by/4.0

القراءة والتلقي في ميميّة المتنبي (دراسة تطبيقية تحليلية)

أ.م.د. خولة حسن يونس
كلية الآداب/ الجامعة المستنصرية

الـمستخلـص

ممّا يثير الانتباه تعدد القراءات النقدية لقصيدة المتنبي (واحرَّ قلباهُ) ، التي تلامس شغاف القلوب عبر العصـــور الأدبية المختلفة ؛ لذا احببتُ أن اقف عند تطبيق نظرية القراءة والتأويل على هذه القصيدة ،منطلقةً من محاور النظرية الثلاثة التي هي بالترتيب :

القراءة الأولى للنص وهي قراءة القارئ المعجب ، ثم المرحلة المهمة وهي مرحلة القارئ الناقد للنص ، وتســـمى لحظة التأويل التي تحدد مواطن الجمال والإبداع في النص ، منتقلةً إلى اللحظة الأخيرة التي يتضح فيها المعنى الأساسي الذي ابتغاه الشاعر ، من خلال استبطان النص تاريخياً ، والتي أطلق عليها النقاد المحدثون مرحلة الفهم ، وهي ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالمرحلة الثانية في تحليلنا الرياضي والنفسي للنص ، انطلاقاً من النصّ نفسه عبر ظاهرتين مبرزتين فيه هما : التقابل المزدوج ، والتوازي ، مروراً بالنقاد الذين حاولوا استبطان هذا النص ثانياً ، ولاسيما دراسة الدكتور عبد السلام المسدي (قراءات مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون) ، ودراسة الدكتور عبد الهادي خضير نيشان (قراءات نظرية في شعر المتنبي) ومن الله التوفيق .

الكلمات الدالة: التقابل المزدوج، التوازي، القراءة والتأويل

المقدمة

يتجاذب المتنبي طرفان مهمان ، الأول : أنها قصيدة لشاعر كبير من شعراء العربية ، طالما ملأ الدنيا وشغل الناس بشاعريته الكبيرة فما يزال منذ العصر العباسي إلى الآن المعين الذي لا ينضب لدارسي العربية ، أما الطرف الآخر فهو نظرية القراءة والتلقي التي شاعت منذ ستينيات القرن الماضي ، التي أعطت للقارئ المكانة الكبرى في الحكم على النص, بل أشارت إلى تعدد القراءات للنص الواحد وفقا لتعدد رؤى القراء للنص الواحد , وممّا لا شك فيه أنها توصي بتعدد القراء المتخصصين أي النقاد وليس القارئ العادي ، أو القراءة السطحية , ومن هنا جاء اختياري لتحليل هذه القصيدة على الرغم من تعدد الدراسات حولها ، فوقع البحث في مقدمة ومهاد نظري يتضمن تعريف نظرية التلقي وايضاح الدراسات السابقة لهذه القصيدة ، وأهمها دراسة الدكتور عبد السلام المسدي لبعض ابيات القصيدة في كتابه (قراءة مع الشابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون) ودراسة الدكتور عبد الهادي خضير نيشان في كتابه (دراسة نصية في شعر المتنبي) ثم تناولنا تحليل نص القصيدة تحليلا فنياً رياضياً ، وفقا لثنائيتين هما : التوازي والتقابل المزدوج ، ثم

جاءت الخاتمة متضمنة أهم النتائج التي توصل إليها البحث لعلي أكون قد وفقت في قراءتي لهذه القصيدة .

❖ **مِهاد نظري : قراءة النقاد القدامى لِقصيدة وا حرَّ قلباهُ ومفهوم نظرية القراءة :**

أولاً : قراءة النقاد القدامى لِقصيدة وا حرّ قلباه :

هناك اختلافٌ شاسعٌ بين القراءات القديمة للشعر العربي والقراءات الحديثة ؛ إذ لم تعتنِ الكتب النقدية و البلاغية والأدبية القديمة بقراءة النص الشعري وتحليله بصورة كاملة ، أي قلّما نجد بين تلك الأسفار العظيمة مَنْ حلّلَ قصيدةً كاملةً لأحدِ شعراء العربية ؛ وإنما عُنوا بذكر أبرز ما تميز به هؤلاء الشعراء الكبار مثل تميُّز الشعراء في الطبع أو الصنعة أو الحكمة أو المديح ، أو ذكر أبواب البلاغة وفنونها والاستشهاد بأبيات منفردة ضمن هذه الفنون .

وكما هو معروف فإنّ هذه القصيدة ألقاها المتنبي بين يدي سيف الدولة الحمداني في ذلك العصر بحضور عدد كبير من الشعراء المشهورين واللغويين الكبار في ذلك العصر ، أمثال أبي فراس الحمداني وابن جني وابن خالويه ، و آخرين ، وأُلقيت وسطَ جوٍّ مشحون بالضغائن والأحقاد على المتنبي بسبب إعجاب سيف الدولة به ، و تقريبه له بشكل خاص من بينهم ؛ ممّا جعله يفضله على الآخرين ويجزل العطايا له ؛ إلا أنّ هذه الأحقاد قادتهم إلى الوشاية به عند سيف الدولة و التفرقة بينهما ؛مما أثار غضب المتنبي وبالتالي عتبه الشديد عليه . (البديعي ،١٣٠٨هـ،١/ ٦٧- ٧١ و ابن جني ،د.ت، ٣/ ٣٦٨) ، ولهذا ذهب الثعالبي (ت٤٢٩ هـ) إلى أنّ هذه القصيدة تصلح أن تقع في بابِ إساءة الأدب بالأدب ؛ بالرغم من أنه ذكرها في باب الإحسان والإبداع في مخاطبة الملوك بمثل مخاطبة المحبوب أو الصديق (الثعالبي ، ١٩٨٣، ٣/ ٢٣٨-٢٣٩، والثعالبي ، د.ت ، ١١٢).

وممّا لا شك فيه أن جرأة المتنبي وكبريائه الواضحين في أبيات هذه القصيدة قادا الثعالبي إلى هذا الرأي ، وهذا ما أكده ابن رشيق القيرواني (ت٤٥٦هـ) حين أشار إلى أن هذه القصيدة بذاتها قد بلغت " نهاية الجو دة غير انه من جهة الواجب والسياسة غاية في القبح والرداءة ، وإنما عرَّضَ بِقوم كانوا ينتقصونهُ عند سيف الدولة (القيرواني ، ١٩٧٢، ٢/ ١٦٥) ،وللسبب نفسه ذهب إلى أنها تقع في باب السُباب وليس في العتاب (نفسه) .

ولروعة لغة القصيدة وأسلوبها المتفرد ذهب القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني إلى أن إجادة المتنبي في هذه القصيدة جعلته يقف في مصاف الشعراء الفحول في عصره (الجرجاني ،٢٠٠٦هـ، ٩٢- ٩٧) ، ومن أهم ما انمازتْ به أبيات هذه القصيدة ، هي وحدة البيت الواحد فقد سار معظمها مسرى الأمثال. (الثعالبي ،١٩٨٣، ٣/ ٢٩٣، وابن الأفليلي ، ١٩٩٢هـ) .

ثانياً : مفهوم نظرية القراءة حديثا (دراسة الدكتور عبد الهادي خضير أنموذجاً)

لقد اتسعت آفاق الدراسات الأدبية في الوقت الحاضر لتشمل قراءة شعر الشاعر بشيء من التفصيل ، ومن وجهات نظر متعددة - وفقا للرؤية الخاصة بالمتلقي - ؛ " لأنّ لقاء القارئ بالناس

لقاء تفاعل وتبادل ونتاج " (محمد بن عيّاد ، ١٩٩٨، ٤) فتعدّدت وجوه القراءة في القصيدة الواحدة بتعدد متلقيها ، ويشترط في هذا القارئ الدقة في رؤيته و تفكيكه للنص الشعري ممّا يقتضي أن يمرَّ القارئ الناقد للنص بمراحل ثلاث " متضامنة في ما بينها وليس الفصل وبينها إلا من قبيل الإيضاح المنهجي "(نفسه ،٧).

وتقع هذه اللحظات بالترتيب الآتي :

لحظة القراءة الأولى أو التلقي الذوقي ، وهي "محاولة لتذوق النص في كليته شكلاً ومعنى ، وذلك بالتدرج من أول النص إلى آخره ، فالقراءة الذوقية متنامية ، علماً بأنّ لكلّ نصٍّ مُبتدأ ومنتهى " (نفسه،٧) ، أما اللحظة الثانية فتسمّى (لحظة التأويل والاسترجاع) ، وتُعد هذه اللحظة "استرجاعية ؛لأن معولها بناء النص من جديد ، في الذهن ،عبر علاماته الأسلوبية المميزة ؛ وذلك لِغاية إدراك المعنى ، فيمكن تعريفها بأنها سعي إلى تقصي المعنى منظوراً إليه من خلال بنية أدبية مجازية "(نفسه،9) ، أما اللحظة الأخيرة فهي لحظة الفهم وهي لا تتجاوز معنى المعنى الذي ذكره عبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) في نظرية النظم (الجرجاني ,1992، ٢٦٣) ، أي المعاني المستبطنة داخل النص ، وهذه اللحظة أسس لها هانز روبرت ياوس مشيرا إلى ضرورة قراءة النص ضمن سياقه التاريخي ؛ لأنّه سعى " إلى إيجاد تآلفٍ متوازن بين الخصيصة الجمالية والمقصد التاريخي اللذين ينهض عليهما كلُّ إنشاءٍ أدبي ، فالخصيصة الجمالية جسرٌ إلى المعنى وليست تابعة له "(محمد بن عياد ، ١٢) .

وقد تجلت هذه اللحظات الثلاث بوضوح في قراءة الدكتور عبد الهادي خضير نيشان لهذه القصيدة ، فقد تجسّدت القراءة الأولى للقصيدة ضمن إعجابه بالقصيدة من حيث بنائها العام شكلاً ومعنى ؛ وذلك لأمور عدة منها : أنه أحسّ بدقة تعبير الشاعر عن الصراعات النفسية التي كان يعانيها آنذاك ، ومناسبة ألفاظ القصيدة ومعانيها وصورها -بصورة عامة -لجو القصيدة التي قيلت آنذاك وربما بسبب جرأة المتنبي التي تظهر واضحة بحضور سيف الدولة , وهذه سمة لا يمكن توافرها لدى أي شاعر إلا إذا كان من طراز خاص ، لذلك أشار الدكتور عبد الهادي إلى ضرورة دراسة هذه القصيدة من خلال استبطان النص وولوج عالم القصيدة من الباطن وليس من الخارج فقط وقد امتزجت لحظة التأويل والاسترجاع مع لحظة الفهم عند الدكتور الذي ذهب إلى تحليل هذه القصيدة تحليلا بلاغياً ونقدياً ولغوياً مبتدئا بدراسة المستوى الصوتي وان لم يُسمَّه كذلك ودوره في جمالية القصيدة وخدمة قافيتها للغرض المقصود ، فضلا عن توضيحه لدور البحر البسيط الذي نظم المتنبي قصيدته فيه في العتاب (د. عبد الهادي خضير نيشان ، ٢٠١٨، ١٥) فقد كان البحر البسيط وعاء مناسبا له ؛ إذ إنه يحتاج إلى نفس طويل خدمته في تحقيقه قافية القصيدة الميمية المضمومة ؛ لما لهذا الصوت من عظيم الأثر في انتزاع الحسرة والألم من باطن المتنبي لما يتسم به هذا الصوت من سمات ومنها : أنه حرف بين الشدة واللين"(نفسه) ، ممّا جعله مناسباً لغرض القصيدة التي " جاءت مزيجا من المدح والعتاب كما أنها مزيج من الحب والألم ، الحب الكبير لسيف الدولة ، يشتد في عتابه حتى يقارب الهجاء ولكنه سرعان ما يلين حتى يقارب الغزل ؛ لذا فإنه متوسط في قصيدته بين الشدة واللين .

ثم تتضح استجابة الباحث للحدث التاريخي المحيط بالقصيدة ، فضلا عن استبطانه النص عندما أحسّ بضرورة دراسة هذه القصيدة دراسة لغوية قائمة على مبدا العلائق الثنائية –وإن لم يعلنها- إلا أنها ظهرت بجلاء من خلال المقامات الثنائية التي عقدها خلال تحليله ، كالعلاقة بين (قلباه و قلبه) وهما قلب الشاعر وقلب سيف الدولة ثم (حر.... شبم), مستغلاً الفنون البلاغية والبديعية واللغوية لتفسير هذا النص وتفكيكه.

❖ **قراءة النص قراءة أسلوبية وصفية**

ان الأسلوبية الوصفية هي المنهج الأكثر قدرة على فهم حقيقة النص من خلال تفكيكه و كشف علاقاته الداخلية وقراءته لغوياً ممّا يتيح للقارئ فهم بنية العمل الداخلية للنص ؛ إذ إن وصف العناصر الأسلوبية في النص الأدبي يساعد على النفاذ فيه إلى أبعد مدى وإن كان لا يؤدي إلى قانون عام مطرد ولكون المتنبي - كما أشار المسدي- أولاً : " في أدبه شخصية اصطدامية يتجاذبها قطبان متباينان إيجابا وسلباً وثانيهما : أنّ صراع القوة صراع القوى الشخصانية عند الشاعر قد تفجر في علاقات تقابلية على الصعيد اللغوي ممّا أدى إلى بروز شبكة من الروابط الثنائية دلاليا ونغمياً في نفس الوقت"(د.عبد السلام المسدّي ، ١٩٩٣ ، ٧٠) ؛ لذلك سنعمد إلى تحليل قصيدته التي نحن بصددها وفق مبدا الثنائية في النص الأدبي لفظا ومعنى وموسيقى , فضلاً عن محاولة الاعتماد على المستوى الدلالي - من حيث دراسة لغة النص والفاظه- في تفكيك النص .

تتبلور الثنائية عند الشاعر في أشكال متعددة هي :

أ- التقابل المزدوج: وهو أن يحمل البيت في بعضه أو كله عناصر تزدوج ثنائيا سواء كان ازدواج تضاد أو ازدواج تطابق ، سلبا او إيجابا ، وهذا ما يظهر في الأبيات الآتية (البرقوقي ،د.ت ، ٢/ ٣٤٢- ٣٥٠) :

واحرّ قلباهُ ممّن قلبه شبِمُ ومَن بجسمي وحالي عنده سقمُ

تتضح هذه الثنائية في الشطر الأول من البيت عندما أقام مقارنة مزدوجة بين حاله وحال قلبه المتألم المتحسر، وما يقاسيه من حرارة الألم التي تقابلها برودة سيف الدولة فكأنما هو عاشق يتألم من صدود معشوقة له فقال :

حر قلباه / قلبه شبم

وهذا هو ازدواج تضـــاد ولو أقمنا علاقة تناســـبية في هذا البيت بإعطاء كل كلمة فيه علامة رياضية لوجدنا أن النتيجة سلبية وهذا ما أراد الشاعر توضيحه وهو سوء حالته وهذه العلاقات التناسبية كالآتي :

وا _ ، حر _ , قلباه 0, ممن0 , قلبه0 , شبم+ = +

ومن0, بجسمي0, وحالي0, عنده0, سقم _ = _

فلكل صفة سلبية أو قبيحة نضع علامة سالب (_) ولكلِّ سمة إيجابية أو جميلة سنضع علامة (+) , ولكل صفة مستديمة أي متشابهة عند كل الناس مثل الضمائر سنضع علامة صفر (0) .

ويحوي هذا البيت أيضـاً توازيا بالبناء المقطعي إذ ينتهي الشـطر الأول بالتفعيلة ذاتها نفسـها من الشطر الثاني شبم / سقم

مالي أُكَتّمُ حباً قد برى جسدي وتدعي حب سيف الدوله الاممُ

وهذا البيت أيضاً يحوي ازدواج تضاد في المدلولات بين أُكَتّمُ / وتدعي ، فبينما هو يعاني ضغطا نفسيا من محاولة خنق إظهار هذا الحب كان هناك أناس ليسوا بمحبين بل مدَّعون ، كأنما خدم التضاد الشاعر في التعبير عن التناقضات التي كان يعانيها .

ما _ , لي0, أُكَتّمُ _ , حبا +, قد0, برر_ , جسدي0 = _

وتدعي_ , حب+, سيف الدولة0, الأمم0 = _

فجاءت النتيجة إيجابية لرفض المتنبي لذلك الواقع ، وربما عمد المتنبي إلى هذا التضاد بين الصدر والعجز ليولد ترابطاً بين المقطعين تستجيب له ذهنية السامع وهذا الكلام ينطبق على البيت التالي :

إنْ كان يجمعُنا حب لغرته فليت أنّا بقدر الحب نقتسم

كان يجمعنا/ نقتسم ، تضـاد واضـح لأنه أشـار إلى عدم وجود ذلك الحب الذي يجمعه مع هؤلاء الناس في حب سيف الدولة وهذا نقيض ما يطلبه منهم في اقتسام هذا الحب بينه وبينهم .

لقد زرته وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت إليه والسيوف دم

- 0 0 + 0 - 0 0 + 0

- + -

هذا البيت يحوي ازدواجين ، الأول تطابق بين زرته/ نظرت إليه والآخر تضـاد بين سيوف الهند مغمدة/ السيوف دم ، وكأنّه عمد إلى جمع التطابق والتضاد معا ليؤكد استمرارية متابعته لممدوحه قبل إشهار السيوف (الحرب) وبعدها ، ممّا يؤكد قوة حبه له ؛ لذلك كانت نتيجة البيت إيجابية .

فكان أحسنَ خلقِ الله كلهمُ وكان أحسن ما في الأحسن الشيمُ

0 + 0 + 0 + + 0 0 + + +

+ + +

وهذا البيت يحتوي على ظاهرة التوازي ، أي توازي البيت كله أي إنَّ صـــدره موازٍ لعجزه من حيث إنهما يحملان دلالتين متوافقتين أو متكاملتين ، وهو أيضـــاً يورد البيت تجتمع فيه عناصـــر يردِّد بعضها الآخر متراصفة متلاحقة ببعضها الآخر أو ينوعه خدمة معينة لحقل دلالي معين .

فكان أحسن // وكان أحسن

كلهم // **الشيمُ**

بينما نجد في البيت الثاني توازيين أحدهما تواز بالمغايرة بين فوت العدو// ظفر والآخر توازي تطابق في طيه نعم// في طيه اسف ، فقال :

فوت العدو الذي يمّمته ظفر في طيه اسفٌ في طيه نعمُ

\+ + **0** - - + - **0** - - **0** - +

\+ \+

– –

فالتغاير واضح بين انهزام العدو الذي يقابله انتصار سيف الدولة الذي تبعه أسفه وندمه على عدم مقاتلته لهم لاكتشافه لأنهم جبناء ، وجمع في الشطر الثاني من البيت بعلاقة ازدواجية متضادة بين

في طيه أســف/ في طيه نعم ولا يخفى لما لهذه العلاقة من أثر موســيقي فضــلا عن دلالتها التي حققتها .

لقد ناب عنك شديد الخوف واصطنعتْ لك المهابة ما لا تصنع البهم

0 - **0** - - + **0** + **0** - - **0** -

\- \+ \-

فالمتنبي في هذا البيت بين تضـاد الاثبات والنفي معاً في قوله : واصـطنعت المهابة // وما لا تصـــنع البهم فكانت نتيجة البيت ايجابية لأنه اثنى على ما صـــنعته مهابة ســـيف الدولة وقوة شخصيته في نفوس الآخرين .

ألزمت نفسك شيئا ليس يلزمها أن لا يواريهم أرض ولا علم

\- **0** **0** - - + - - **0** - - + - +

\- \+

ربما لا يمكننا هنا اتمام مبدا التوازي على هذا البيت ولكن للبيت دلالة نفسية خاصة إذ وجه الحديث مباشرة لسيف الدولة بمخاطبته (ألزمت نفسك) ، وعلى الرغم من أن هذا ليس بالأسلوب الغريب على العربية ، ولكن يبدو لورودها (نفس) اثر فعال في الجملة إذ هي تعمل على استحضار الذات ، ويحمل اللفظ نوعا من الثنائية بين الشخص وذاته ، وهذا التعبير لا يحمل طابع الأنانية انما

يحمل حضور الوعي بالذات أو العناية بها عناية بعيدة عن الأنا ، عناية تحمل طابع المواجهة أو المحاسبة أو الإلزام وكأنه يحمل ذاتين تواجه إحداهما الأخرى مع وجود الثنائية بين أرض // علم إذ لم يقصد بها الأرض بل السهل الذي يدل على كلمة (علم) أي جبل وهذا ازدواج تضاد .

أكلما رُمتَ جيشاً عليه فانثنى هرباً تصرفتْ بكَ في آثارِهِ الهممُ

+ - + - - 0 - - 0 0 -

يقوم هذا البيت على التقابل المزدوج المتضاد بين رمت// وانثنى ، وكأنه تضاد ظاهر وهو تطابق دلالي ؛ لأن سيف الدولة كان إذا أراد الظفر بجيش الأعداء ولى هذا الجيش فرارا وتحقق النصر له وربّما استعمل صيغة النكرة لكلمة (جيش) ليؤكد تعدد هذه الجيوش التي فرّت منه .

عليكَ هزمهم في كل معترك وما عليكَ بهم عارٌ إذا انهزموا

لا يخلو هذا البيت من ثنائيات المتنبي المتعددة إذ يقيم توازيا متطابقا بين عليك // وما عليك

هزمهم // انهزموا

وفي هذا توكيد لشيئين وهو ظهور سيف الدولة انتصاره المؤكد يقابله هزم العدو المؤكد أيضا باستعمال صيغه اسم فعل الأمر (عليك) ليؤكد أهمية هذا العمل بالنسبة له .

أما ترى ظَفَراً حلواً سوى ظفرٍ تصافحتْ فيه بيضُ الهند واللّمُم

ويستمر المتنبي في إيراد التقابل المزدوج في أبياته ما بين متطابق ومتضاد وهنا تطابق واضح بين ظفر/ ظفرا ، كأنه عمد إلى هذا التطابق ليشير إلى حالة جميلة وهي حلاوة الانتصار التي يتبعها السلام إذ يصفها بصورة جميلة يجعل فيها السيوف المنتصرة تتصافح مع سيوف الأعداء المنهزمة وهذا أغرب أنواع السلام .

يا أعدل الناس إلا في معاملتي فيك الخصام وأنت الخصم والحكمُ

يقوم هذا البيت على أكثر من علامة ثنائية .

1) ازدواج تطابق

أعدل // الحكم

الخصام // الخصم

2) التوازي

الخصم // الحكم وهي توازي مغايرة

ب) ظاهرة التوازي (د. عبد السلام المسدّي، ٨٦) : وهي الشكل الثاني من أشكال الثنائية التي اعتمدها المتنبي في هذه القصيدة .

وهذا الأسلوب هو أعلى درجة بلغت في العتاب المهذب إذ لم يتجاوز الشاعر منزلة الممدوح حين وصفه بـ(أعدل الناس) بوصفه أميراً عليهم ، فتفوق عليهم من حيث إنه كان أعدلهم .

أُعيذُها نظراتٍ منك صادقةً أنْ تحسب الشحم في مَن شحمه ورمُ

وبعد أن بين الشاعر لممدوحه أنه أفضل الناس ، خلص من المدح بذكاء وفطنة إلى التعريض به من حيث إنه لم يستطع التمييز بين الشعراء المجيدين وغير المجيدين مستعينا بالعلاقة ذاتها ، وهي ازدواج التطابق والتضاد في آن واحد .

الشحم // شحمه تطابق لفظي دلالي

الشحم // ورم تضاد لفظي دلالي

ويستمر بهذه العلاقات الثنائية في تعريضه بسيف الدولة جاعلاً (ناظره) بؤرة مركزية لانطلاق الشاعر في التعبير عمّا يريده حين قال **(البرقوقي ،٢/ ٣٤٤)** :

وما انتفاع أخِ الدنيا بناظره إذا استوت عنده الأنوارُ والظلم

+ 0 0 0 0 + 0 - +

+ - -

فتكون النتيجة سلبية لعدم استفادة الممدوح من تمتعه بالنظر لاستواء الظلمات والنور فيه، والازدواج المتضاد يظهر في الأنوار // الظلم

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي وأسمعتْ كلماتي من به صممُ

0 0 + - 0 + + + - - -

- + -

وهذا البيت فيه ازدواج وفيه توازٍ

نظر الأعمى// أسمعت ..... صمم توازي مغايرة

أدبي // كلماتي ازدواج تطابق

فجمع بين المتناقضات ليخرج من المعقول إلى اللامعقول ... ولابد من أن تكون نتيجة البيت إيجابية ؛ لأن غرضه فيه هو الفخر بشعره .

ثم يؤكد فخره بهذا الأدب الخارق أو النموذج المثال في قوله :

أنام ملءَ جفوني عن شواردها ويسهرّ الخلق جرّاها ويختصم

+ 0 0 0 + - 0 0 -

+ + +

وفي هذا البيت نمط آخر من أنماط التوازي وهو تجميع العناصر اللغوية الذي يستقطبه عنصر مولد فاعل متحكم في بنية البيت عموما وهو هنا (شـــواردها) التي يقولها فيحَارُ الآخرون فيها بينما هو راقد بسلام ... وهذا ما يسمى العنصر المولد **(د. عبد السلام المسدّي، ٨٦-٨٧)**، وربّما جاء في بداية في البيت ، فضلا عن الازدواج المتضاد الذي استعمله في أنام // يسهر

ويتضح العنصر المولد أيضاً في بداية البيت الآتي (البرقوقي ،٢/ ٣٤٥):

وجاهلٍ ومده في جهله ضحكي حتى أتته يد فرّاسةٌ وفمُ

فإن هذا الجاهل كان سـببا في اسـتهزاء الشـاعر به وبقي في جهالته حتى هجاه الشـاعر وعرض به :

إذا رأيتَ نيوب الليثِ بارزةً فلا تظنَنَّ أنّ الليث يبتسمُ

ويلاحظ في هذه الأبيات والأبيات الســـابقة غلبة تكرار لفظة بعينها تكون هي بيت القصـــيد - إذا جاز لنا التعبير- ، ســـواء كان ممدوح الشـــاعر أم مهجوّه ، ونقصـــد بها هنا الليث ولتكرار فائدة أخرى غير الفائدة الدلالية وهي الفائدة الموسيقية .

ومهجة مهجتي من هم صاحبها أدركتها بجواد ظهره كرم

يقف هذا العنصر المولد مرة أخرى في مقدمة هذا البيت الذي أشار فيه المتنبي إلى سمو نفسه وشعره ، وارتقى بهذه الروح بسبب لسانه الناطق المعبر عنها والمدافع عنه، الموجه كسيف حاد بوجه خصومه .

ثم يصف هذا الشعر الذي كنى عنه بالفرس الكريم موظِّفاً عددا من التقابلات الثنائية لتحقيق نبرةً موسيقية خاصةً في هذا البيت .

رجلاه في الركض رجل واليدان يد وفعله ما تريد الكف والقدم

رجلاه // رجل اليدان// يد الكف // القدم

كأنه أراد أن يقول شعراً له وظيفة المفرس الشجاع بكل أجزائه ، فلفظه ومعناه وصوره كلها تخدم الشاعر على وفق ما يريد القول فيه .

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فالعنصر المولد هو (تعرفني) الذي يعد بؤرة البيت وهو رابطة الشطرين ، فكل الأسماء التي أشار إليها في الشطرين هي التي تعرفه ، فالفعل هو منطلق الشاعر في هذا البيت ؛ لذلك قام البيت على علاقة تعادلية متقابلة في البيتين الذي كان الإيجابية مركزا له فلابد أن تكون نتيجة موجبة .

ومرهف صبرت بين الجحفلين به حتى ضربت وموج الموت يلتطم

+ + 0 + 0 + 0 - - - - 0

+ + +

صاحبت في الفلوات الوحش منفردا حتى تعجب مني القور والأكمُ

+ 0 0 - - 0 + 0 0 0 0

+ + +

ونتيجته إيجابية ؛ لأنه أراد أن يفخر بشجاعته فقد سار جنبا إلى جنب مع الوحوش وبكل شجاعة حتى أنطق الجماد وجعله يتعجب من هذه الشجاعة (تشخيص).

يامن يعز علينا أن نفارقهم وجداننا كل شيء بعدكم عدم

0 + 0 0 - 0 0 - - + 0 0 -

- - +

فجاءت نتيجته سلبية : لأنّ حاله بعد الفراق ستكون مزرية مقاربة للعدم

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو أن أمركمُ من أمرنا أمُمُ

0 0 - 0 + 0 0 0 0 0 + 0

- - +

كان المتنبي هنا متمنياً إكرام سيف الدولة له حتى لو كان متكلفاً في ذلك ؛ لذلك استعمل أسلوب الأفعال الماضية :

إنْ كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح إذا أرضاكم ألم

- + 0 0 - 0 - 0 0 + 0 0

+ - -

يعود المتنبي لأسـلوبه في إقامة الثنائيات وهنا علاقة ثنائية متطابقة بين سـركم// أرضـاكم ؛ لأن الرضا من السرور, وكانت نتيجة هذه العلاقة الإيجابية في الحالين ، حال سيف الدولة الذي سُرّ بشقاء المتنبي عند سماعه أخباره السيئة ليقابلها بعدم الاهتمام واللامبالاة وعدم التألم هذا السرور ، كأنه لا يعني له شيئا .

وبيننا لو رعيتم ذاك معرفة إنّ المعارف في أهل النهى ذمم

+ + 0 0 + 0 + 0 + 0 0 +

+ + +

وربّما نسـتطيع القول إن هناك ثنائية تطابق بين معرفة // المعارف وليؤكد أهمية حفظ الصـلة ومراعاتها حتى إن شطّتْ بهم الأيام لأنها من سمات الوفاء وقد ابتسم بها كالحافظ للعهد .

كم تطلبون لنا عيبا فيعجزكم ويكره الله ما تأتون والكرم

+ _ 0 + + - - 0 + 0

- - +

هنا تختلف الثنائية عند المتنبي ؛ إذ إنها قائمة على الموسـيقى, فالبيت قائم على المقطع الثنائي في كلا الشطرين, فالنبرة الأولى تنتهي عند :

كم تطلبون لنا عيباً // فيعجزكم

مقطع // مقطع

ويكره الله ما تأتون // والكرم

مقطع // مقطع

والمقطع نقصد به نوعاً من التناسب ، لجأ إليه الشاعر يتمثل في إقامة شطرين في البيت الشعري على مفردات يناسب تقطيع كل منها في الشطر الأول نظيره في الشطر الثاني مناسبة تامة وتنزع إلى أن تكون تامة .

ما أبعد العيب والنقصان عن شرفي أنا الثريا وذان الشيب والهرمُ

+ 0 - - + 0 + 0 - - 0

\+ + +

ويعود هنا إلى إقامة علاقاته الثنائية المتطابقة ؛ إذ نجد ازدواج تطابق في الشطرين بين

العيب/ النقصان والشيب/ الهرم

والملاحظ أنّ نتيجة البيت إيجابية بلا شك لأن ما أراده الشاعر هو فخره بنفسه وشرفه وعلوه

ليت الغمام الذي عندي صواعقه يزيلهن إلى من عنده الديم

+ 0 0 0 - - 0 0 - 0

\- - +

وهناك مقابلة تضاد بين الغمام الذي يدل على حدوث صاعقة ومن الديمة التي تنتهي نهاية خير وجد سقوط المطر وسقي الأرض .

لئن تركن ضميراً عن ميامننا ليحدثن لمن ودعتهم ندم

- - 0 - + 0 + - 0

\- + -

عقد ازدواجية تضاد بين

تركن ضميرا // ودعتهم ندم

إذا ترحلت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالراحلون همُ

0 - - - - + 0 0 0 - 0

\- + -

لابد أن تكون النتيجة سلبية له ؛ لأن سيف الدولة قادر على منعه ولكنه لم يفعل ولذلك أقام المتنبي ازدواجية تضاد في البيت بين :

ترجلت// لا تفارقهم ، تضاد

ترحلت/ الراحلون ، تطابق

شر البلاد مكان لا صديق به وشر ما يكسب الإنسان ما يصمُ

- 0 0 + 0 - 0 + - 0 0 -

\+ - -

كانّ المتنبي هنا قد جعل بؤرة انطلاقه لما يريد (أي العنصـــر المولد) وهو مفتتح البيت / شـــر/ وكرره في الشطرين وجاءت النتيجة سالبة لأنه ذم البلاد التي ليس له فيها صديق .

وشر ما قنصَتْه راحتي قَنَص شهب البزاة سواء فيه والرَّخمُ

- 0 0 - + - + - - 0 -

\+ - -

اعتمد هنا على التكرار الذي ربما يكون أثره أثر الثنائيات

بأي لفظ تقول الشعر زعنفة تجوز عندك لا عرب ولا عجم

يتضـح في هذا البيت أن (زعنفة) هي العنصـر المولد الذي يجزئ البيت إلى أجزاء متناسـبة مع الثنائية التي عقدها بين العرب // والعجم

ثم يختم المتنبي قصـــيدته ببيت يحوي عدداً من الثنائيات ما بين ازدواج تطابق وتضـــاد ومقطع ثنائي موسيقياً ، فقال **(نفسه ، ٣٥٠)** :

هذا عتابك إلا أنه مِقةٌ قد ضُمِّن الدر إلا أنه كلم

عتاب/ كلم تطابق,

عفة/ كلم تضاد,

إلا أنه/ إلا أنه تطابق

❖ الخاتمة :

بعد هذه السياحة في صـور هذه القصـيدة وأسـاليبها المتعددة يتضـح لنا أن المتنبي قصـد إقامة قصيدته على الثنائيات بأشكالها المتعددة وذلك للأثر النفسي الذي أحدثه خصامه مع سيف الدولة لذا ؛ أراد أن يؤكد أنها قائمة على شـــخصـــين متوازيين لن يلتقيا أبداً هما ســيف الدولة (الأمير) والمتنبي (الشـاعر الكبير) ، بالرغم من إعجاب كل منهما بالآخر واتفاقهما في مرحلة من مراحل حياتهما إلا أن التضاد كان طاغياً بينهما ؛ لذا طغى على جو القصيدة .

❖ **المصادر**

1. ابن الأفليلي ،أبو القاســم ،إبراهيم بن محمد بن زكريا الزهري (ت٤٤١هـ) ،شــرح شــعر المتنبي ، دراسة وتحقيق: د. مصطفى عليان/ الناشر : مؤسسة الرسالة ،بيروت لبنان ، ط١, ١٤١٢هـ-١٩٩٢م.
2. ابن جني ، أبو الفتح عثمان النحوي (ت٣٩٢هـ) ,الفســر شــرح ابن جني الكبير على ديوان المتنبي ، حققه وقدم له د. رضا رجب.
3. ابن رشيق القيرواني ، أبو علي الأزدي، (ت٤٥٦هـ) ، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده ، حققه وعلق حواشيه : محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الجيل ، ط4 / 1972 .
4. البديعي ، يوسـف الدمشـقي (ت1073هـــ) ، الصـبح المنبي عن حيثية المتنبي ، المطبعة العامرة الشرفية ، ط1 ، 1308هـ .
5. البرقوقي ، عبد الرحمن ، ديوان أبي الطيب المتنبي بشـرح العلامة عبد الرحمن البرقوقي ، تحقيق دكتور عمر فاروق شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت ، د.ت .
6. الثعالبي ، أبو منصور ، عبد الملك النيسابوري (ت429هـــ) ، أبو الطيب المتنبي ما له وما عليه ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد ، مكتبة الحسين التجارية ، القاهرة ، د.ت .
7. الثعالبي ، ابو منصــور ، عبد الملك النيســابوري ، يتيمة الدهر في محاســن أهل العصــر ، شــرح وتحقيق : د. مفيد محمد قميحة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 / 1403هـ - 1983م .
8. د. عبد الســلام المســدي ، قراءات مع الشــابي والمتنبي والجاحظ وابن خلدون ، دار ســعاد الصباح ، الكويت ، ط4 ، 1993م.
9. د. عبد الهادي خضير نيشان ، قراءات نصية في شعر المتنبي ، دائرة الثقافة حكومة الشارقة ، 2018م .
10. عبد القاهر الجرجاني ، أبو بكر (ت471هـــــ) ، دلائل الإعجاز ، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر ، دار المدني ، جدة ، ط3 ، 1413هـ - 1992م.
11. علي بن عبد العزيز الجرجاني ، القاضـــي علي بن عبد العزيز ، الوســـاطة بين المتنبي وخصـــومه ، تحقيق وشـــرح محمد ابو الفضـــل ابراهيم ، علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ط1 ، 1427هـ - 2006م .
12. محمد بن عياد ، التلقي والتأويل ، مدخل نظري ، مجلة الأقلام ، العدد : 4 ، آب ، 1998 ، وزارة الثقافة والأعلام ، بغداد .

Referees .13

14. 1. Al-Aflali, Abu Al-Qasim, Ibrahim bin Muhammad bin Zakaria Al-Zuhri (d. 441 AH), explanation of Al-Mutanabbi's poetry, study and investigation: Dr. Mustafa Alian / Publisher: Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon, 1st edition, 1412 AH - 1992 AD.
15. 2. Ibn Jinni, Abu al-Fath Uthman al-Nahwi (d. 392 AH), the interpretation of Ibn Jinni's great commentary on Al-Mutanabbi's poetry collection , investigated by Dr. Reda Rajab.

3. Ibn Rashiq al-Qayrawani, Abu Ali al-Azdi, (d. 456 AH), the master of the virtues of poetry, its etiquette, and its criticism. Investigated and annotated by: Muhammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid, Dar al-Jeel, 4th edition/1972. .16
4. Al-Badi'i, Yusuf Al-Dimashqi (d. 1073 AH), Al-Subh Al-Munbi on the authority of Al-Mutanabbi, Al-Amira Al-Sharafiya Printing Press, 1st edition, 1308 AH. .17
5. Al-Barqoqi, Abd al-Rahman, The Diwan of Abu al-Tayyib al-Mutanabbi, explained by the scholar Abd al-Rahman al-Barqoqi, edited by Dr. Omar Farouk, Dar al-Arqam Bin Abi al-Arqam Company, Beirut, D.T. .18
6. Al-Tha'alabi, Abu Mansour, Abd al-Malik al-Naysaburi (d. 429 AH), Abu al-Tayyib al-Mutanabbi: It works in his favor and it works against him, edited by Muhammad Mohi al-Din Abd al-Hamid, Al-Hussein Commercial Library, Cairo, D. T. .19
7. Al-Tha'alabi, Abu Mansour, Abd al-Malik al-Naysaburi, The Orphan of Time in the Virtues of the People of the Age, explained and investigated by: Dr. Mufid Muhammad Qamiha, Dar Al-Kutub Al-Ilmiha, Beirut, Lebanon, 1st edition / 1403 AH - 1983 AD. .20
8. D. Abdul Salam Al-Masadi, Readings with Al-Shabi, Al-Mutanabbi, Al-Jahiz, and Ibn Khaldun, Dar Suad Al-Sabah, Kuwait, 4th edition, 1993 AD. .21
9. D. Abdul Hadi Khudair Nishan, Textual Readings in Al-Mutanabbi's Poetry, Department of Culture, Government of Sharjah, 2018 AD. .22
10. Abdul Qaher Al-Jurjani, Abu Bakr (d. 471 AH), Evidence of Miracles, read and commented on by Mahmoud Muhammad Shaker, Dar Al-Madani, Jeddah, 3rd edition, 1413 AH - 1992 AD. .23
11. Ali bin Abdul Aziz Al-Jurjani, Judge Ali bin Abdul Aziz, mediation between Al-Mutanabbi and his opponents, edited and explained by Muhammad Abu Al-Fadl Ibrahim, Ali Muhammad Al-Bajjawi, Al-Matbabah Al-Asriyah, Beirut, 1st edition, 1427 AH - 2006 AD. .24
12. Muhammad bin Ayyad, Reception and Interpretation, a theoretical introduction, Al-Aqlam Magazine, Issue: 4, August, 1998, Ministry of Culture and Information, Baghdad .25